

روح المعاني

أن الصفة قد تذكر لتعظم في نفسها ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر كما تذكر تنويها بقدر موصوفها وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الانبياء عليهم السلام بالصلاح في غير ما آية تنويها بقدر الصلاح إذ جعل صفة للأنبياء عليهم السلام وبعثا لآحاد الناس على الدأب في تحصيل صفته وكذلك قيل في قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمده ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فأخبر سبحانه عن الملائكة المقربين بالإيمان تعظيما لقدره وبعثا للبشر على الدخول فيه ليساوا الملائكة المقربين في هذه الصفة وإلا فمن المعلوم أن الملائكة مؤمنون ليس إلا كيف لا ! اوهم عند ربهم كما في الخبر ثم جل وعلا : ويستغفرون للذين آمنوا يعنى من البشر لثبوت حق الأخوة في الايمان بين القبيلتين فلذلك واﷻ تعالى أعلم جرى وصف الأنبياء في هذه الآية بالاسلام تنويها به ولقد أحسن القائل : أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف وحسان الناظم في مدحه E بقوله : ما أن مدحت محمدا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد والاسلام وإن كان من أشرف الأوصاف إذ حاصله معرفة اﷻ تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز في حكمه إلا لأن النبوة أشرف وأجل لاشتمالها على عموم الاسلام مع خواص المواهب التي لاتسعها العبارة فلو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة في ذكر الاسلام بعد النبوة لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز وفي كلام العرب الفصح وهو الترقى من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس ألا ترى أن أبا الطيب كيف تزحج عن هذا المهيح في قوله : شمس ضحاها هلال ليلتها در مقاصيرها زبر جدها فنزل عن الشمس إلى الهلال وعن الدر إلى الزبر جد فمضت اللسن عرض بلاغته ومزقت أديم صنعته فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات حتى يتعلق فهمنا بأهداب علوها في البلاغة المعهودة لها واﷻ تعالى الموفق للصواب انتهى .

وفي المفتاح : والتخليص إشارة إلى ما ذكره وإيراد الطيبي عليه ما أورده غير طيب نعم قد يقال : إن القائل بكونها مادحة لمن جرت عليه نفسه قد يدعى أن ذلك مما لا بأس به إذا قصد مع المدح فوائد أخر كالتنويه بعلو مرتبة المسلمين هنا والتعريض لليهود بأنهم بمعزل عن الاسلام على أنه قدر ورد في الفصح بل في الأفصح ذكر غير الأبلغ من الصفات ومن ذلك الرحمن الرحيم حيث كان متضمنا نكتة وقال عصام الملة : إن الاسلام للنبي كمال المدح لأن الانقياد من المقتدى للخلائق التي لاتحصى وصف لاوصف فوقه ويمكن أن يكون الوصف به هنا إشعارا بمنشأ الحكم ليحافظ عليه الأمة ولايخرم ولا يتوهم أن الحكم للنبوة فغير النبي صلى اﷻ عليه وسلّم خارج عن هذا المسلك انتهى وفيه تأمل إذ للترقى من الأدنى إلى الأعلى لم يظهر بعد ونهاية الأمر الرجوع إلى نحو ما تقدم فافهم للذين هادوا أى تابوا من الكفر كما

قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنه والمراد بهم اليهود كما قال الحسن والجار إما متعلق
بيحكم أى يحكمون فيما بينهم واللام إما لبيان اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أو
عليهم كأنه قيل : لأجل الذين هادوا وإما للايذان بنفعه للمحكوم عليه أيضا باسقاط التبعة
عنه وإما للإشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كأنه أمر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض
بالمحرفين وقيل : من باب سراويل